ومن أمثالهم " في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا " . فمن هنالك أطلقت على الفضل والخير في صفات الناس فيقال : في فلان بقية والمعنى هنا : أولو فضل ودين وعلم بالشريعة فليس المراد الرسل ولكن أريد أتباع الرسل وحملة الشرائع ينهون قومهم عن الفساد في الأرض .

والفساد : المعاصي واختلال الأحوال فنهيهم يردعهم عن الاستهتار في المعاصي فتصلح أحوالهم فلا يحق عليهم الوهن والانحلال كما حل ببني إسرائيل حين عدموا من ينهاهم . وفي هذا تنويه بأصحاب النبي صلى ا عليه وسلم فإنهم أولو بقية من قريش يدعونهم إلى إيمان حتى آمن كلهم وأولو بقية بين غيرهم من الأمم الذين اختلطوا بهم يدعونهم إلى الإيمان والاستقامة بعد الدخول فيه ويعلمون الدين كما قال تعالى فيهم (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) .

وفي قوله (من القرون من قبلكم) إشارة إلى البشارة بأن المسلمين لا يكونون كذلك مما يومئ إليه قوله تعالى (من قبلكم) .

وقرأ ابن جماز عن أبي جعفر (بقية) بكسر الباء الموحدة وسكون القاف وتخفيف التحتية فهي لغة ولم يذكرها أصحاب كتب اللغة ولعلها أجريت مجرى الهيئة لما فيها من تخيل السمت والوقار .

إذ القرون من الاستثناء يستتبع وهو (بقية أولوا) من منقطع استثناء (قليلا إلا) و A E القرون الذين فيهم (أولوا بقية) ليسوا داخلين في حكم القرون المذكورة من قبل وهو في معنى الاستدراك لأن معنى التحضيض متوجه إلى القرون الذين لم يكن فيهم أولو بقية فهم الذين ينعى عليهم فقدان ذلك الصنف منهم . وهؤلاء القرون ليس منهم من يستثنى إذ كلهم غير ناجين من عواقب الفساد ولكن لما كان معنى التحضيض قد يوهم أن جميع القرون التي كانت قبل المسلمين قد عدموا أولي بقية مع أن بعض القرون فيهم أولو بقية كان الموقع للاستدراك لرفع هذا الإيهام فصار المستثنى غير داخل في المذكور من قبل فلذلك كان منقطعا وعلامة انقطاعه انتصابه لأن نصب المستثنى بعد النفي إذا كان المستثنى منه غير منصوب أمارة على اعتبار الانقطاع إذ هو الأفصح . وهل يجيء أفصح كلام إلا على أفصح إعراب ولو كان معتبرا اتصاله لجاء مرفوعا على البدلية من المذكور قبله .

و (من) في قوله (ممن أنجينا) بيانية بيان للقليل لأن الذين أنجاهم ا من القرون هم القليل الذين ينهون عن الفساد وهم أتباع الرسل .

وفي البيان إشارة إلى أن نهيهم عن الفساد هو سبب إنجاء تلك القرون لأن النهي سبب السبب إذ النهي يسبب الإقلاع عن المعاصي الذي هو سبب النجاة .

ودل قوله (ممن أنجينا منهم) على أن في الكلام إيجاز حذف تقديره : فكانوا يتوبون ويقلعون عن الفساد في الأرض فينجون من مس النار الذي لا دافع له عنهم .

وجملة (واتبع الذين ظلموا) معطوفة على ما أفاده الاستثناء من وجود قليل ينهون عن الفساد فهو تصريح بمفهوم الاستثناء وتبيين لإجماله . والمعنى : وأكثرهم لم ينهوا عن الفساد ولم ينتهوا هم ولا قومهم واتبعوا ما أترفوا فيه كقوله تعالى (فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين) تفصيلا لمفهوم الاستثناء .

وفي الآية عبرة وموعظة للعصاة من المسلمين لأنهم لا يخلون من ظلم أنفسهم .

واتباع ما أترفوا فيه هو الانقطاع له والإقبال عليه إقبال المتبع على متبوعه .

وأترفوا : أعطوا الترف وهو السعة والنعيم الذي سهله ا لهم فا هو الذي أترفهم فلم يشكروه .

و (كانوا مجرمين) أي في اتباع الترف فلم يكونوا شاكرين وذلك يحقق معنى الاتباع لأن الأخذ بالترف مع الشكر لا يطلق عليه أنه اتباع بل هو تمحض وانقطاع دون شوبه بغيره . وفي الكلام إيجاز حذف آخر والتقدير : فحق عليهم هلاك المجرمين وبذلك تهيأ المقام لقوله بعده (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم) .

(وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون [117]) عطف على جملة (واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه) لما يؤذن به مضمون الجملة المعطوف عليها من تعرض المجرمين لحلول العقاب بهم بناء على وصفهم بالظلم والإجرام فعقب ذلك بأن نزول العذاب ممن نزل به منهم لم يكن ظلما من ا تعالى ولكنهم جروا لأنفسهم الهلاك بما أفسدوا في الأرض وا لا يحب الفساد